

البرهان في علوم القرآن

بوجوده ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم عرفنا اسمه وجوب النظر المؤدي إلى معرفته فأما بالرسول ثم بالكتاب المنزل عليه وبالملك النازل به فلو ترتب اللفظ على حسب إيماننا لبدأ بالرسول قبل الكتاب ولكن إنما ترتب على حسب إيمان الرسول صلى الله عليه وسلم الذي هو إمام المؤمنين ذكره السهيلي في آماله .

وقال غيره في هذا الترتيب سر لطيف وذلك لأن النور والكمال والرحمة والخير كله مضاف إلى الله تعالى والوسائط في ذلك الملائكة والمقابل لتلك الرحمة هم الأنبياء والرسول فلا بد أولاً من أصل وثانياً من وسائط وثالثاً من حصول تلك الرحمة ورابعاً من وصولها إلى المقابل لها والأصل المقتضى للخيرات والرحمة هو الله ومن أعظم رحمة رحم بها عباده إنزال كتبه إليهم والموصل لها هم الملائكة والمقابل لها المنزلة عليهم هم الأنبياء فجاء الترتيب على ذلك بحسب الوقائع .

الثاني بالذات .

كقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع 1 ونحوه ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم 2 وقوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم 3 وكذلك جميع الأعداد كل مرتبة هي متقدمة على ما فوقها بالذات .

وأما قوله تعالى إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا بالله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم 4 فوجه تقديم المثنى أن المعنى حثهم على القيام بالنصيحة وترك الهوى مجتمعين متساويين أو منفردين متفكرين ولا شك أن الأهم حالة الاجتماع فبدأ بها